الوسائط الاتصالية الأكثر جاذبية للأطفال
(طرق الاستغلال وكيفية التفعيل)

أ. خروفة براك
جامعة سكيكدة

لا أحد ينكر أن الطفل يمثل الثروة الجوهرية للأمة، فهو كالأرض المعطاء، متى حظيت بالعناية والرعاية تعهدت لك بالخير العميم. ومن ثم فإن تنمية قدراته الخلاقة والمبدعة ، تصبح الهدف الأسمى لأي تثقيف، إذا ما أردنا للمجتمع أن يرقى وينهض، وإذا ما رغبنا للوطن نماء اجتماعيا وثقافيا واقتصاديا .

والجزائر اليوم بحاجة إلى الاهتمام بطاقاتها البشرية، وفي حاجة إلى استثمار هذه الطاقات استثمار حسنا، إذا أرادت رفع التحديات ومحو مشهد الاختصار المقيت.

لقد بات ضروريا أن نعرف احتياجات الطفل وتكييفها وفق مقومات الهوية الوطنية وخصوصيتها لحمايتها من الاندثار. لا سيما أن الطفل العربي عامة يشكل ثروة مهدرة[1] يدرك أعداء الأمة أهميتها جيدا، لذا نراهم لا يعمدون الوسائل لإعدامها أو إعاقتها.

وطفل اليوم يعيش دوامة رهيبة لفقدانه القدرة على الفرز والاختيار، أمام الزخم الهائل من الوسائط التي تتقاذفه جاذبيتها من جهة، وما تمده به من قيم وسلوكات من جهة ثانية. وقد عجزت كل من الأسرة والمدرسة أمامها، وراحتا تستصرخان علماء التربية وعلماء النفس علهما يدركا لهما بالحلول الناجعة.

---

[1] د. سليمان ابراهيم العسكري : الطفل العربي ومأزق المستقبل. مجلة العربي. وزارة الاعلام بدولة الكويت، عدد 521 أفريل 2002، ص9.

فالتكنولوجيا وما تالعنا به يوميا من إنجازات في مجال الاتصال وما تبتكره من وسائل وأجهزة تخرق أفق التوقع، أضحى نصيبها في تربية الطفل وتنشئته أوفر. خاصة وسائل الإعلام المختلفة والتي يتقدمها الإعلام السمعي البصري، الذي يعد من الوسائط الاتصالية الأكثر جاذبية للأطفال. والاهتمام بها يعد مؤشرا لتقدم الدول ورقيها، وعاملا جوهريا في بناء مستقبلها.

1 ـ الوسائل السمعية البصرية (إمكانات وأخطار)

تعد الوسائل السمعية البصرية من الوسائط الاتصالية المثيرة لإعجاب الأطفال واهتمامهم، وأضحى تأثيرها بالغا، وارتبط خاصة وبشكل كبير بالإذاعة والتلفيزيون، فهما إذا "من زمرة وسائل الاتصال السمعي البصري، التي تثبت الأصوات والصور الحاملة للرسالات ذات الطبيعة المتفاوتة، والتحقيق أهداف متنوعة بما فيها الرسالات ذات الصفة التربوية"[1].

لقد أضحت أجهزة الراديو والتلفيزيون جزء من أجهزة الحياة اليومية، وفاقت في انتشارها الكتب والمواد المطبوعة، ووسائل الإعلام الأخرى، لما لها من إمكانات تساهم إلى حد كبير في تكييف حياة الأسرة والطفل على حد سواء.

والحقيقة أن كلا من الراديو والتلفيزيون يتمتع بمزايا تخول له أن يكون مثيرا ومؤثرا في الوقت ذاته، لأنهما يعملان من خلال حاستي السمع والبصر، ولا يستعملان الكتابة والطباعة، وبالتالي لا يحتاجان من الأطفال مستوى معينا من القدرة على القراءة[2] ، وهذه الخاصية على جانب كبير من الأهمية.

---

(1) اجناسي فانيقتش : الإذاعة والتلفزيون لتعليم الراشدين (منشورات اليونيسكو) مطبوعة وزارة الثقافة. دمشق 1973، ص 58.

(2) أحمد نجيب : فن الكتابة للأطفال. دار إقراء. بيروت 1986، ص 157.

لقد تخطت الثقافة اليوم ـ المدرسة وأصبحت الوسائل التي يستخدمها الإنسان للترفيه هي أيضا أدوات تثقيف، وباتت الإذاعة والتلفيزيون مدرسة ثانية لها من الأهمية ما للأولى.

فمن الإمكانات التي تناط بها الإذاعة والتلفيزيون، ونبرز من خلالها قدرات هائلة للاطلاع بمهام ريادته نجد:

- تزويد الأطفال بخبرات متنوعة لا تقدمها المدرسة، عبر برامج تربوية، تثبت معلومات ومهارات، اختبرت بشكل هادف ، وقدمت بشكل منهجي (في كل بيت كتاب "برنامج تونسي").
- التأثير في نسق القيم لدى الأطفال من خلال ما تقدمه من "القدوة الحسنة، والإقناع العقلي، والإمتاع العاطفي، والخبرات الثرية"[1].
- بحكم أن الإذاعة المرئية والمسموعة، تحتل وقتا عريضا من وقت الأطفال تساعد في غرس القيم في نفوسهم، وتنفرهم من أخلاق وسلوكات مرفوضة أخلاقيا واجتماعيا لأنه "... يدخل في صميم الموقف التربوي وفي صميم تشكيل البنية الخلقية للطفل، تلك التي تنسج مادتها حول محور أساسي وخطير الشأن هو الوازع أو الضمير"[2].
- تحقيق التربية القرائية للأطفال، بتكوين عادة القراءة لديهم وذلك بعرض الكتب، والتعريف بها، وإجراء مسابقات ترغيبا في المطالعة وتربية للذوق، وإعدادا لإبداء الرأي والنقد. لأن تحبيب القراءة للطفل وتقريب الكتاب إليه هدف أساسي، يسعى إليه الراغبون في تثقيف الطفل على أساس أن الكتاب يبقى نبعا ثريا للثقافة، ووسيلة للتعلم المستمر، وسبيلا للبحث والدراسة والاستقصاء.

---

(1) د. حسن شحاتة: أدب الطفل العربي (دراسات وبحوث) الدار المصرية اللبنانية. القاهرة. 1991، ص67.

(2) زليخة أبو ريشة: أدب الأطفال العرب ... والانحرافات. مجلة المستقبل العربي، مج 9. مركز الدراسات الوحدة العربية. بيروت، عدد 94. 1986، ص 99.

- يساعد التلفيزيون على تحرير الطفل القارىء من مجموعته، ومن انفعالاتها، ويساعد على التأمل في استجابات بديلة، ومحاولة تشكيل عواطف جديدة مؤسسة[1].
- يعد التلفيزيون أفضل مثير وبفضل تركيزه على الناحية البصرية، فإنه يزيد في الاهتمام ويقوي التصور عند الأطفال في أشياء قد يرغبون في دراستها واكتشاف أسرارها.
- وللتلفيزيون قيمته في إعطاء صورة بصرية للمادة قد لا تتوفر في المدرسة أو قد لا تتوفر في البلد كله، كما له القيمة نفسها في إعطاء إحساس واقعي بعرض الأحداث أو الأشخاص البارزين أو اللحظات الهامة[2].
- تحسن الإذاعة المرئية والمسموعة مهارات الأطفال اللغوية، وقدراتهم على استخدام النحو والقاموس.
- تدريب الأطفال على النقاش وتداول الأفكار مع من هم أكبر سن وتحفيزهم على الإنجاز والإبداع.

ولكن ما ذكر من إمكانات لا يبرىء ساحة الإذاعة والتلفيزيون من الأخطار التي تحدق بالأطفال المستمعين والمشاهدين، والتي لا تقيم لها تلك الوسائل وزنا. لذا أطلق على الإذاعة والتلفيزيون اسم "الوسائل العمياء" لأنها لا تفكر في العواقب ولا تقيس مقدار التأثير بمقياس العقل والمنطق. ومن ثم لا يمكن أن يخفي المربي عامة مخاوفه منهما، ولا يمكن أن يتجاهل أخطارهما التي منها :

- تدهور عملية التحصيل الدراسي، لا سيما بالنسبة للذين يقضون وقتا طويلا أمام الشاشة الصغيرة، وفي ذلك تقول "ليليان لورسا" العالمة النفسانية للمعهد

---

(1) هنري م. كاسيرر: التعليم عن طريق التلفزيون. ترجمة د. سلامة حماد. مؤسسة سـرب. القاهرة 1964، ص 263. م. ن. ص 441.

(2) م. ن. ص 220.

الوطني الأمريكي: "إننا إذا أردنا أن نفهم طفل اليوم فعلينا أن نعرف أنه أصبح مشاهد تلفيزيون قبل أن يكون تلميذا"[1].

وقد تحسس المربون خطورة الموقف، وعملوا على تحذير الأولياء وحثهم على وجوب أخذ الحيطة والحذر إزاء برامج الأطفال التليفزيونية. فهذا الشاعر المربي "جمال الطاهري" يبدي استياء وتخوفا كبيرين من المسلسل الكرتوني "الكابتن ماجد"[2]. ويدق ناقوس الخطر من إدمان الأطفال على مشاهدته وبيان أثره السلبي على نتائجهم المدرسية. وذلك من خلال عرضه لحكاية طفل أغرم بالبطل ماجد واتخذ من رقمه 10 رقم سعد فقال:

قد أقبل نحوي دحمـــان والخد كســـاه الرمـــان
قد جرجر فضل حقيبته مغن عن ســـرد حقيقته
يمشي بتثاقل في السيـــر كالقـــط تحيـــن للفـــأر
بخطى تتخالط مرتبكـــة كطريد يخشى من شبكة
من ثمة أخرج لي دفتـــر بغـــلاف بـــراق أحمـــر
كالعـــادة إني أعرفـــه إذ منه المـــر سأغـــرفـــه
وأراني ثمة لي صفحـــة في صوت أشبه بالبحـــة
ورجاني: ياأبت وقـــع فبلا توقيعك لن أرجـــع
إذ تلك أوامـــر لمعلـــم لا يأمر أبـــدا ويسلـــم
ومعـــلم صفي لا يشفـــع وعصاه تطيح وكم ترتع
فصرخت وقلت: أيا شاطر هـــل ابني رتبته العاشـــر
ولمـــاذا لاتـــأتي واحـــد فأجاب لعشقي للكابتن ماجد

---

[1] د. سليمان إبراهيم العسكـــري، الطفـــل العربي ومأزقه المستقبل، ص 11.

[2] الكابتن ماجد مسلسل كرتوني بث على الشاشة الصغيرة في بداية التسعينات وبث الجزء الثالث منه في أواخر التسعينات (1999) تدور أحداث المسلسل حول بطل كرة القدم رقم 10.

- ويبدو أن خطورة التلفيزيون لا تنحصر فقط في المجال الدراسي بل تتجاوزه إلى شخصية الطفل، التي تتركب من مستويات عدة نفسية وسيكولوجية وخلقية لأن الشاشة تمده بأشكال يتشبع بها ومنها تبدأ رحلة التقليد اللاشعوري، فيفقد الطفل إدراكه الواعي للسلوكاته. يقول صلاح دهني : "إن الموقف الرشيد الذي يحسن الأخذ به هو ألا نقلل من أخطار التلفيزيون وبخاصة على الأجيال الطالعة، وألا نسعى إلى التوكيد اعتباطيا بأن التلفيزيون يرفع آليا من المستوى الثقافي للجماهير. فالدراسات تؤكد بأن الأمر ليس بهذه السهولة وبأن التلفيزيون في أفضل الاعتبارات لا يشكل أكثر من حافز في جملة حوافز أخرى، قد تدفع الإنسان للتعلم وإغناء الذات، أو قد تدفعه أحيانا إلى الطريق المضادة طريق الشرع والسدور في الغي والجهالة"[1].

ويؤثر التلفزيون سلبا على ملكة التخيل لدى الطفل، وذلك بتقديمه لصور من الخيال المجنح، الذي يشوه خيال الطفل ويحوله إلى إثارة أو ما يسمى "بالخيال المزيف" ومن صور هذا الخيال السلسلة الكرتونية "باتمان، أو سوبرمان" وهكذا تصاب هذه الطاقة المبدعة بالمرض.

تعطيل الطاقات الإبداعية عن العمل وقتل المواهب بتضييق الخناق عليها، بما تقدمه الشاشة من صور نمطية أو قوالب جاهزة، تحفظ، ولا يسمح فيها لقدرات الأطفال الفطرية بالعمل لتغير هذه الأنماط، وبالتالي قتل المواهب في مرحلة جد مبكرة، وحرمان المجتمع من كوادر هو في أمس الحاجة إليها، لأن الطفولة حيث تكون امتدادا للذات لا تقترن بالحاضر فقط، ولكنها تمثل الماضي بنفس القوة التي تمثل فيها المستقبل والمصير[2].

---

(1) صلاح دهني : جمهور يتقبل كل شيء (وسائل الإعلام والأطفال). مجلة المعرفة. مجلد1. عدد215/214 ص 301/300.

(2) أحمد المصلح : أدب الأطفال في الأردن. منشورات دائرة الثقافة والفنون. عمان. 1983.

إثارة إعجاب الأطفال بأشكال العنف المتعدد التي تعرض له عبر صور قاسية متوحشة لأفلام كرتونية يحركها أشخاص آليون، يدفعون بالمشاهدين الصغار إلى عالم الجريمة. تقول الإحصائيات :

إن الطفل الذي يشاهد التلفزيون لمدة ثلاث ساعات يوميا : يكون قد شاهد قبل سن الثانية عشرة حوالي 800 جريمة قتل[1] وأكثر من مائة ألف مشهد من مشاهد العنف.

لا سيما أن هناك رأيا شائعا يفضي بأن التلفزيون يسلم إلى نوع من السلبية من حيث المشاهدة والاستماع .

- تشويه ذوق الأطفال بما تقدمه الإذاعة المسموعة والمرئية من أغاني وأصوات وإيقاعات غريبة عن طبيعة المشاهدين، وتفوق مستوياتهم الإدراكية. مهملة أهمية هذا الفن الذي قال عنه أفلاطون : "إن الموسيقى علم يجب معالجته كالرياضة البدنية، فالأولى تهذب النفس وتصلح ما فسد منها، والأخرى تقوي الجسد"[2].
- توقيف إعمال الفكر بما تقدمه الإذاعة المسموعة والمرئية من حلول لمشاكل عويصة، واعتماد الحلول الغبية التي غالبيتها لا يقبله العقل ولا المنطق، هكذا يشيخ الفكر قبل الأوان.
- حرمان الطفل من طفولته، ودفعه إلى القفز المبكر عن مراحله العمرية والزج به في مرحلة عمرية متأخرة، حيث عوالم الكبار بكل حيثياتها. وهذا يدفع به مستقبلا للتعرض إلى بعض الأمراض النفسية "كالنكوص" مثلا.

---

(1) هادي نعمان الهيتي : أدب الأطفال (فلسفة، فنون، وسائطه الهيئة العربية العامة للكتاب، القاهرة 1977 ص 220.

(2) اجناسي فانيقيتش : الإذاعة والتلفزيون، ص 49 .

وعموما إن ما طرحناه هو واقع فرض حضوره على الطفل وعلينا وضيق الخناق على المربين عامة، وأتاح الفرصة لتجار العنف والأحلام الزائفة، والإثارة للبروز وتطويق الطفل بنتاجاتهم البعيدة عن مداركهم. ولكن السؤال الذي يجب الإجابة عنه هو كيف ندرأ الخطر عن الطفل ؟ وما هي الطرق والكيفيات التي نحول بها هذه الوسائل إلى وسائط فاعلة وإيجابية ؟

3ـ طرق الاستغلال وكيفية التفعيل

لقد نما كل من الراديو والتلفزيون نموا سريعا في ظرف زمني قياسي، حيث تطورا من وسيلتين إخباريتين إلى وسيلتين ترفيهيتين وثقافيتين، وامتد أثرهما إلى الخدمات التعليمية، وفاق التلفزيون ـ في ذلك ـ غيره من الوسائط الأخرى، لذا استوجب على المهتمين بالطفولة عامة أن يبحثوا في طرق استغلاله استغلالا حسنا، لخدمة التربية والتعليم والثقافة والمستقبل ككل.

ومن ثم فالأمر يحتاج إلى تضافر الجهود من إعلاميين وتربويين ونفسانيين ومبدعين وأولياء ومعدين.

- تطويع التلفزيون والراديو لخدمة العملية التربوية، والتعليمية، وذلك بتعويض المدرس في بعض فترات الراحة، وهذا لا يستقيم أبدا إلا إذا اعددنا برامج تعليمية، تدعم حصة الدرس في المؤسسة التربوية، وهنا تكمن أهمية دور معد البرنامج والمسؤول الأول على الإذاعة بنوعيها، الذي يتوجب عليه المعرفة العلمية للمعايير النفسية والادراكية والتربية للشريحة المشاهدة، (وقد كانت لبعض الدول الصناعية تجربة في هذا المجال، حيث استخدمت التلفزيون في التعليم، كأمريكا، بريطانيا واليابان وغيرها...)[1].

---

[1] مسلسل كرتوني بث على الشاشة الوطنية في الثمانينات.

- توعية المسؤولين على الإذاعتين لأهمية أدوارهم في حسن استخدام مثل هذه الوسائط في توجيه الأطفال وتثقيفهم، وذلك بوضع سياسة حازمة في اختيار البرامج، وكيفيات إعدادها وزمن بثها وتوقع آثارها.

- التأكيد على نوعية البرامج، وإشراك أطراف أخرى كمديري الإنتاج والمشرفين التربويين، وعلماء النفس والمبدعين في عملية الاختيار.

- الحد من سطوة الأفلام الكرتونية العنيفة، واستبدالها بأخرى أكثر رقة وعذوبة، تكرس في الأطفال في القيم والفضائل.

- الإكثار من البرامج العلمية التي تفتق فكر الطفل وتحرر خياله وتفجر مواهبه وتوسع مدراكه.

- وللمدرسة دور أساسي في الحد من خطورة التلفزيون خاصة، وذلك بتدخل المدرس ومناقشة مشاهدات الأطفال لبيان الحقائق من الزيف (الطيران لبات مان).

- ويأتي دور الأسرة هنا في المقدمة لأنها أضحت الحصن المنيع الذي بإمكانه أن يحمي ثروة الأمة. فيجب أن تفرض سلطتها في مراقبة مشاهدات أبنائها حماية لهم من السقوط في المحظور بحكم قربها.

فقد وقف الشاعر "مصطفى محمد الغماري" موقف الرقيب، وتابع باهتمام الولي المرجي حلقات مسلسل كرتوني بعنوان "سنان" محاولا تقويم الفكرة (الموضوع) بحس نقدي واع، ليكشف للأطفال بحس أبوي قيم الخير وعناصر الشر المتصارعة، والمجسدة في شخصيتي "سنان وزعبور" مزودا إياهم بأدوات الحكم القيم المؤسس، الذي يساعدهم على استيعاب المغزى واستخلاص العبرة، فقال عن "سنان"[1] :

---

[1] سنان أرنب طيب ذكي مجتهد يحب الجميع.

لأن سنان يحب الجميع

يحب الورود، ويهدي الربيع

بوجه نظيف وقلب وديع

وأن يأمر الأب فهو المطيع

سريع إلى كل خير .. سريع

لأن سنان يحب الجميع

فإنني أحبه[1]

عمل الشاعر على إبراز فضائل "سنان" التي تجعل منه بطلا خيرا فاعلا، ورغبهم فيه مثالا للاتباع والاقتداء.

وحاور الشاعر الشخصية الموازية "زعبور"[2] كاشفا رذائله مؤلبا ضده المشاهدين الصغار منفرا إياهم من سلوكاته، فقال عنه :

وأكره "زعبور" وجه النفاق

يطل وأصحابه في شقاق

تراهم جميعا وهم في افتراق

تراهم في مكرهم في انطلاق

لأنك "زعبور"وجه النفاق

فلست أحبك[3]

وها هو يظهر مساوئ "زعبور" حتى ينفر منها الأطفال مرغبا عنه نموذجا للشر والضلال.

---

(1) مصطفى محمد النماري : حديقة الأشعار. شركة الشهاب، الجزائر، ص 28.

(2) زعبور : ذئب شرير غبي، كسول، يمقته الجميع.

(3) م.ن ص 29.

ومن خلال هذا النموذج، نستشعر عمق المسؤولية التي تقع على عاتق الأسرة خاصة والمربين والعلماء عامة، وتقنعنا بحقيقة مفادها أنه لا يمكن أن نعلق أخطاءنا على الجهاز، لأننا المتحكمين فيه وفي برامجه، ولا يمتلك قدرة التحكم نفسها علينا.

وخلاصة القول إن الإذاعة المسموعة والمرئية ما هي إلا وسائط ابتدعها الإنسان لتحقيق الرفاه، ولا يمكن أن نسمح لها التحكم فينا وإدارتنا أو توجيه أطفالنا وقتل طموحاتهم في المهد.

فالبرامج التي تبث عبرها من صميم ابتداع الإنسان، وعليه فهو المسؤول الأول، والأخير على هدر طاقات الأمم لاسيما مدراء الإذاعات ومدراء الإنتاج ومعدو البرامج الخاصة بالأطفال والإعلاميون، الذين يتحتم عليهم مراقبة البرامج وحسن اختيارها، واستشارة المتخصصين في ذلك.

والواقع اليوم يفرض على الأسرة التربوية عامة والأسرة خاصة بأن تعد نفسها لدرء خطر الجهازين، لاسيما التلفزيون عن أبنائها، وأن تحزم أمرها لرد السيل العارم من الأفكار الهدامة والسلوكات العنيفة، وذلك بفرض رقابتها الخاصة على البرامج وتحديد نوعية البرامج المسموح لأبنائها بمشاهدتها، وتزويد الأطفال بملكة التقويم، وذلك بفضل الحوار ومناقشة أفكار البرامج الموجهة للصغار مع الأولياء، حتى نخلق عادة النقاش ونوعا من الحميمة الأسرية، وتعزز ثقتهم بها. فصد خطر التلفزيون خاصة لا يمكن أن يكون فاعلا إلا بتضافر الجهود.